سـورة يونـس

هذه السورة فى راى الجمهور سورة مكيه وهى مثل باقى السور المكية تتحدث حول العقيدة و بخاصة العقيدة فى الله جل وعلا فى ربوبيته ووالوهيته وفى أسمائه وصفاته وتتحدث عن الوحى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبين حال هذه العقيدة ، وكيف ان الله جل وعلا جرت سنته بإهلاك من رد على رسوله وكذب بكتبه.

*وهذه السورة تسمى بسورة يونس ويونس عليه السلام بن متى نبى ورسول من رسل الله جل وعلا ولم يأت ذكره فى هذه السورة الا فى اية واحدة فى خاتمة هذه السورة فى قوله تعالى (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) مع ان يونس عليه السلام ذكر تفصيلا باكثر من ذلك فى سورة الصافات.

ـ ولكن قال بعض اهل العلم ان السورة سميت بذلك لأن السورة التى تبدا ب (الر) هى اربع سور وقد اختار اهل العلم لكل سورة ما تتميز بها وهذه السورة قد ذكر فيها يونس دون البقية فسميت باسمه.

ـ وقال أهل العلم ايضا ان الحكمة من ذلك ان الله جل وعلا جرت سنته أن من رد دعوة الرسل فإنه له الهلاك فى الدنيا فانزل الله جل وعلا العقوبات المختلفة على تلك الامم فمنهم من اخذته الصيحة ومنهم من اصابت الرجفة ومنهم من اغرقه الله ومنهم من ارسلت عليه الريح الصرصر العاتية الى غير ذلك اما قوم يونس فانهم لما رأوا مخائل العذاب تابوا الى الله جل وعلا ورجعوا بعدما بدت بوادره فرفع الله عنهم العذاب، وفى هذا رد على الدهرية الذين يقولون أن هلاك الأمم إنما كان بهلاك أفعال طبيعية دهرية تقع لهم فيقال أن هؤلاء لما رأوا المخايل فتابوا رد الله جل وعلا عنهم العذاب، فدل ذلك على أن الله هو الذى عذب من سبق حينما ردوا على الرسل وكذبوا بالكتب والله جل وعلا هو الذى رفع ايضا عن قوم يونس العذاب، فلو أن قوم يونس ايضا اهلكوا، لتمسك الطبيعيون والدهريون بأن الذى يهلكهم إنما هى امور طبيعيه تقع على هذه الأمم، فلما كشف الله عن قوم يونس بعد توبتهم دل على ان هذا كان من عند الله جل وعلا.

بسم الله الرحمن الرحيم

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١))

تلك : الاشارة هنا للبعيد و البعد هنا يفيد عظمة هذا المشار اليه اى انه عالى المنزلة وانه رفيع القدر وقيل تلك اشارة للبعيد اى اشارة لكل السور التى نزلت قبل يونس فتلك التى تشير اليها بعيدا والتى ستاتى بعد ذلك .

(ايات الكتاب الحكيم) : وهى ايات فهى حجج واضحة بينة لا شبهة فيها ولا لبث .

الكتاب : القرآن

(الحكيم): قيل الحكيم اى انه المشتمل على الحكمة ، ذو الحكمة لأنه يهدى الى طريق الحق وإلى ما فيه الصواب وإلى الامور العالية فى الاعتقاد والاخلاق والسلوك والعبادات .

وقيل الحكيم بمعنى الحاكم لان هذه اللفظة فعيل تاتى بمعنى الفاعل فهو حاكم اى حاكم حكم الله جل وعلا بالامر والنهى فيه وعلى العباد ان يطعيوا ، وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعول اى ان الله حكم فيه بالعدل والقسط والقران فيه كل تلك المعانى السابقة .

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢))

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا: الإستفهام هنا للإنكار عليهم، ما الذى يثير تعجبهم ؟؟ فليس هناك ما يتعجبون منه والعجب (بضم العين) او العجب (بفتح العين) في أصل اللغة معناه، أن الإنسان يرى ما ينكره ويقل مثله، فالله جل وعلا يقول ما الذى يثير تعجبكم من أننا أرسلنا رسولا من جنسكم (أوحينا الى رجل منهم) أى من جنسهم.

(أن أنذر الناس): والإنذار هو الإعلام بشيء مخوف.

(وبشر الذين آمنوا): اذا الناس عموما والبشارة للذين ءامنوا خاصة.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ: لهم قدم صدق أى لهم منزلة عالية عند الله جل وعلا، و أتى التعبير بقدم ليفيد الثبات أى ان لهم خير ثابت لا يتزعزع فى الاخرة.

ـ هنا قال قدم صدق لأن هؤلاء الذين من أهل الإيمان هم صادقون فى أقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم ولذلك قدموا هذه الأعمال الصالحة التى صارت لهم فى الاخرة منازل عالية ولذلك قال جل وعلا (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)، وهنا قدم صدق والنبى صلى الله عليه وسلم يدعوا فيقول (أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) ليدلك على أهمية الصدق و أن الصدق أن تكون صادقا فى قولك وفعلك وفى إعتقادك ويلزم من ذلك أن تكون مع الصادقين كما فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

قال ابن عمر وكونوا مع الصادقين مع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه، وقال الضحاك: وكونوا مع الصادقين، مع محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأصحابهما وهذا هو تمام الصدق.

قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ: فبدأوا الطعن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتهموه بأنه ساحر، وقالوا إن هذا السحر ظاهر بين.

لماذا اتهموه بالسحر؟ قالوا ألم يفرق بين الوالد وولده، وبين المرأة وزوجها، والذى يفرق هو السحر، لا يعلمون أن الحق يفرق ولذلك سمى الله جل وعلا يوم بدر يوم الفرقان، وسمى القران فرقانا (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) فالقرآن ايضا يفرق، لأن بمجيئه صار الناس، إما مؤمنين وإما كافرين والعياذ بالله.

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٣))

هذه نقلة لتبين أن هذا ليس بعجيب على الله جل وعلا، ولا ينكر أن يرسل رسولا من البشر، فهو الخالق وهو الذى يختار من خلقه، ويصطفى سبحانه وتعالى، كما قال تعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ: أى علا وارتفع.

يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ: أى ليس هناك يشفع، يشفع إلا من بعد أن يأذن الله جل وعلا له، والشرط الثانى، أن يرضى الله عن المشفوع له، قال تعالى (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ : أى هذا الذى خلق السموات والأرض، الذى يدبر، الذى يملك الشفاعة، هو الذى يستحق العبادة وحده جل وعلا.

(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ (٤))

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا : فيقول أن هناك يوم تُرجعون فيه إلى الله جل وعلا لماذا؟؟ للحساب ولذلك يقول (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أى أن هذا وعد من الله جل وعلا، متحقق وقوعه، أنهم يرجعون إليه فيقومون لحسابهم، إما منعمين أو معذبين و لذلك قال (إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) وفى آية اخرى قال (وهو أهون عليه) لأن بعض أهل الكفر استبعدوا ذلك، (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ : أى بالعدل.

وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ : والحميم هو الماء الذى تناهى حره.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ : أى بسبب كفرهم بالله جل وعلا وبرسله.

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥))

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء : فالله جل وعلا، جعل الشمس ضياء، والضياء هو النور الذى لا يُستمد من غيره وفيه حرارة.

وَالْقَمَرَ نُورًا : بمعنى أن نوره ليس ذاتى، ولكنه يُستمد من غيره وليس فيه حرارة.

وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ : أى وقدر سيره فى منازل، ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا، ينزله القمر خلال هذا الشهر العربى، لماذا؟ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، فضوء الشمس يعلمنا اليوم، وأما القمر بمنازله يعلمنا الشهور والأعوام .

مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ : أى خلقه بالحق، ليظهر قدرته وعظمته للناس، وكذلك أيضا ليجعل ذلك آية واضحة بينة على وحدانيته سبحانه وتعالى، و لذلك قال (يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)، أى يبينها لقوم يعلمون.

(إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦))

إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : وهذه آية أيضا من آيات الله جل وعلا، وهى تعاقب اليل والنهار.

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ: من أراد أن يتقى الله جل وعلا، ويجعل دون عذاب الله وقاية؛ بأن يخافه ويقدره حق قدره فيعبده بإمتثال أمره وإجتناب نهيه، فلينظر إلى تلك الآيات، يرى الليل ويرى النهار، هذا يطول وهذا يقصر وعدد الساعات واحد، ويرى مخلوقات الله فى هذه السموات التى رفعت بلا عمد، و هذه الارض فيها يابس، وماء، على إختلاف ما فيها ليعلم قدرة الله جل وعلا ويستدل بذلك على وحدانيته .

(إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨))

إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : الذين لا يرجون، أى لا يتوقعون لقاء الله جل وعلا، ولا يرجون ثواب الله ولا يتوقعون أن يقع بهم العذاب.

وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا : هذه ثلاثة يلزم بعضها بعضا، فمن لا يرجوا لقاء الله، يرضى بالحيوة الدنيا والرضا معناه، أنك تكتفى بالشىء ولا تحتاج معه غيره، فرضوا بالحياة الدنيا، يعنى هى جُل مقصودهم، فصارت محبوبة لهم.

وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا : صار هناك فى قلوبهم طمأنينة أنها لن تزول، وأنهم يبقون يتمتعون ولا يُضرون، ولذلك هى جهنم.

أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ : المأوى المستقر الذى تستقرون فيه (بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ).

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠))

ثم انتقلت الآيات للحديث عن جزاء أهل الجنة، لأن القرآن مثانى، يذكر جزاء أهل النار، ثم يعقبه بذكر جزاء أهل الجنة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ :أى بسبب إيمانهم، فإن الله جل وعلا يهديهم، فيهديهم فى الدنيا الى الأعمال الصالحة والأقوال الخالصة لله، الموافقة لشرعه، ويهديهم فى الآخرة إلى منازلهم؛ ولذلك أهل الجنة هم أعرف الناس بمنازلهم، أكثر من معرفتهم بمنازلهم فى الدنيا؛ لأنهم يهديهم ربهم لها.

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ : دعواهم، أى دعائهم، وقيل إذا أرادوا شيئا فإنهم يسبحون، وقيل أنهم قد أُلهموا التسبيح كما نُلهم نحن النفس.

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ : تحيتهم: أي، يحييهم الله جل وعلا بالسلام، سلام عليكم، سلام قولا من رب رحيم، وكذلك ايضا الملائكة تحييهم بالسلام، وكذلك ايضا يحي بعضهم بعضا بالسلام.

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: أي، يختمون دعائهم بالثناء على الله جل وعلا، رب المخلوقات كلها .

(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١))

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ: الإنسان عنده عجلة بالخير، متعجل، ولو أن الله جل وعلا عجل له إستعجاله بالخير، إستعجاله بالشر،

لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ : بعض الناس يدعوا بالخير، اللهم اغفر لى، اللهم ارحمنى، اللهم ارزقنى، ويتمنى ان يُعجل له ذلك، وأحيانا يدعو على نفسه أو على ولده، فالله جل وعلا، من رحمته أنه لا يُعجل دعائهم على أنفسهم إنما يؤخرهم إلى الأجل الذى قضاه الله جل وعلا، ولذلك لو أن الله عجل لهم الدعاء على أنفسهم كما يريدون، أن يعجل لهم الخير لقضى اليهم أجلهم، و لذلك إياك أن تدعوا على نفسك، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (ولا تدع على ولدك لعلها توافق ساعة إجابة) فتقع الإجابة لأن هذا الكلام معناه، أن كثيرا لا يستجيب لدعاء شخص على نفسه، أو على ولده، ونادرا ما قد يستجيب، ولذلك الإنسان يحرص ألا يأتى إلى هذا النادر أصلا لأنه قد يوافق ساعة إجابة فيقبل الله منه.

لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ : أى نترك الذين لا يرجون لقاءنا.

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ : والعمه، هو عمى القلب، التردد والحيرة التى يكونون فيها والعياذ بالله.

(وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢))

وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا: هذا حال الإنسان، إذا مُس بالضر أصابه مرض، أصابه فقر، أصابته حاجه، وانظر الى التعبير بقوله (وإذا مس) مجرد مس فقط ماذا يحدث؟ يقبل الإنسان على ربه متضرعا مخبتا متذللا لله جل وعلا.

دَعَانَا لِجَنبِهِ: أى مضطجعا على جنبه.

أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا: أي، واقفا يعنى يدعوا فى كل أحواله، تخيل لو إنسان أصيب بمرض يحدث له ذلك نائم يقول يارب اشفنى، يقعد لكى يأكل يقول يارب اشفنى، يقوم يمشى يقول يارب اشفنى، دعى على كل هذه الأحوال.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ : (مر) بمعنى، أنه رفع عنه الضر، حتى عوفى تمام العافية، ولذلك هو يمر، (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ)، لا يتذكر المرض ولا يتذكر الفقر ولا يتذكر شيء.

كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ: أي، زُين لمن أسرف، أى تجاوز الحد بالمعاصى، والذنوب، والكفر ما كان يعمل، هذه امور مزينة له.

(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣))

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ: أى بسبب ظلمهم.

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ: أى قطعنا معذرتهم بإتيان الرسل اليهم بالحجة.

وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ: لماذا وما كانوا ليؤمنوا؟ لأنهم أسرفوا وظلموا، فَسدت قلوبهم، وسُدت أبصارهم، وسُدت آذانهم، فما عادوا يقبلون الحق، فهم كانوا سببا لأن لا يقبلوا الحق بعد ذلك؛ ولذلك بعض الناس إذا أتاه الحق، فرده أول مرة، فانه يُطبع على قلبه، فإذا أتاه مرة اخرى لا يقبله والعياذ الله، (كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)

(ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤))

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم : يعنى، هذه القرون المهلكة، أنتم الآن صرتم فى أماكنهم لماذا؟ للإبتلاء، والإختبار.

لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ : ليس لأنكم شعب الله المختار، ولا لأنكم خير الناس، ولا لأنكم بينكم وبين الله نسبا ؛ إنما أنتم وجدتم الآن لحمل راية الإبتلاء (أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ)، فأنت مبتلى لننظر كيف تعملون، فالله جل وعلا، ينظر لعملك ولقولك، وينظر ما أنت عامل تقيده الملائكة فى صحف، ثم بعد ذلك ترى ما قدمت (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ).

(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥))

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ : إذا تلى النبى صلى الله عليه وسلم القرآن، فإنهم يعرضون عليه احد أمرين:

الأمر الأول : (ائت بقران غير هذا) أي، إذهب به، وائت بمكانه كله.

الأمر الثانى : (أو بدله) اى ائتنا بقرآن آخر، ولكن على سبيل البدل.

قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي : لماذا لم يقل لا استطيع ان اتى بقرآن أو أبدله ؟

الإجابة : لأن التبديل أيسر، فإذا نفى من على نفسه أن يكون قادرا على التبديل، فهو ليس قادرا على أن يأتى بقرآن غير القرآن من باب أولى، ولذلك هم قالوا (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ)

(قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ): هذا هو طريق النبى، طريق الإتباع للوحى، ونحن ايضا اذا كنا على نهج النبى، فلابد وأن نتبع الوحى، ففى كل مسالة أو فى كل نازلة، وفى كل قول وفى كل فعل وفى كل اعتقاد، لابد ان يكون شعارك ان أتبع إلا ما يوحى إلى، و لذلك قال الإمام أحمد فى الفتنة كان يقول لهم: (ائتونى بآية من كتاب الله او حديث من أحاديث رسول الله أقول به)

(قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٦))

قال أنا مكثت فيكم أربعين سنه، خلال هذه الأربعين سنة، لم أقل كلمة واحدة من هذا الكتاب فلماذا؟!! يعنى أنتم قلتم أساطير الأولين اكتتبها، لماذا لم يكن ذلك قبل هذا؟ (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) هذا أين عقله.

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧))

فهذا الذى يقول أنه مفترى، أو يريد أن نفترى على منهج الله جل وعلا، بأن ناتى بغيره، هذا مجرم وهو لا يفلح، لا يحصل على مطلوبه، ولا يفر من مرغوبه، وهذا من أظلم الظلم.

فَمَنْ أَظْلَمُ : أى لا أحد أظلم منه.

(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨))

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ : أى لا يملك لهم ضرا ولا نفعا، إذا أرادوا النفع، لا يأتيهم بالنفع، إذا أرادوا أن يضروا عدوهم، لا يستطيع ذلك، لا عن نفسه ولا عن غيره، فكيف يعبدونه ؟

وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ : طبعا فى بداية السورة حُصرت قضية الشفاعة (الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ) (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى) فيقول، لماذا تعبدونهم والشفاعة ملك لله جل وعلا.

قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ :

سُبْحَانَهُ : أى تنزه وتقدس وتعالى عما يشركون، أى أتخبرون الله بما لا يعلم وهو الخالق والمالك لكل هذا ! فالله جل وعلا قد قطع كل الحجج عن عبادة غيره، بأنهم لا يملكون شيئا، ولا يملكون ضرا ولا نفعا، ولا يملكون موتا ولا حياة، ولا نشورا، ولا يملكون شفاعة، وليس له منهم ظهير، ولذلك فالله جل وعلا، هو الإله الحق، وهؤلاء آلهة عُبدت بالباطل والعياذ بالله جل وعلا.

(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١٩))

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ : أي، كانوا أمة واحدة على الإيمان فاختلفوا، وذلك لما جاءهم العلم فبعضهم بغى حسدا وظلما وكفرا بالله جل وعلا، وبعضهم صار مؤمنا.

(وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠))

وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ: و هنا يأتى الإقتراح من الكفار أيضا، أى هم يقترحون يقولون لماذا لا تأتى آية، أى آية حسية، كالآيات التى جاءت لصالح، ولموسى عليهما السلام، وغيرهم من الأنبياء.

فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ : أي، أن الله جل وعلا هو الذى يعلم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول، فالله جل وعلا هو الذى يرسل بالآيات، وليس أنا الذى آتى بها من عند نفسى، ولذلك قال:

(فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) : اى، انتظروا ما اقترحتموه، لأنى معكم منتظر لها، وفيه تهديد لهم أيضا.

س . هم طلبوا اية حسيه لماذا لم تاتهم ؟

ج - لأن الله جل وعلا قال (وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) فعلم الله جل وعلا، الذى يعلم الغيب، ويعلم ما لم يكن كيف سيكون، أنه لو أرسل اليهم آيات من جنس آيات صالح وهود وموسى الحسية، فإنهم لن يؤمنوا أيضا بل سيكذبون.

ـ إذاً طلبوا الآيات لتطويل المدة والمسافة فى تكذيبهم وكذلك أيضا فى محاولة التعجيز وهذا لا ينفعهم بشىء.

(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١))

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ : الرحمة، تأتى بمعنى النعمة والصحة، والمال، والخصب، الى غير ذلك، (من بعد ضراء مستهم) عكس ذلك.

إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا : طبعا (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ) وهنا يمكرون، يعنى يستخدمون هذه النعم فى الكيد لأهل الإيمان، والعياذ بالله جل وعلا.

قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ : أي، ستذهبون بمكركم، إن الملائكه الحفظة التى هى عليكم حافظين ،كراما كاتبين، يعلمون ما تفعلون (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأين ستذهبون بمكركم.

(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢))

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : وهذه آية أيضا من آيات الله جل وعلا، هم لمسوها واقعا (يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ) بأن جعل لكم الارض ذلولا، فامشوا فى مناكبها، وتسيرون فى فجاجها، وكذلك أيضا تركبون الإبل، فتسير على تلك الأرض، وجعل لكم هذه الإبل بهذه الخفاف، التى تسير على الرمال، لأنكم لا تستطيعون ان تسيروا عليها بأرجلكم

أو بخيولكم، فكل هذه آيات من آيات الله جل وعلا، وكذلك فإن من تيسيره، أن سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره، فأنت تضع هذه الخشبة على هذه المياه لتطفوا، وكان من حكمة الله جل وعلا انه كلما كثر الحجم كلما استطاعت هذه الخشبة أن تستقر على وجه الماء، وهذا ما يُعرف بقانون التوتر السطحى، أو قانون الطفو الذى يدرسونه الآن، كل هذا منّة من الله وفضل.

حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ: والفلك بمعنى السفن.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ : أى أن هذه السفن بما تتحرك؟ بالريح، والريح الطيبة التى ليس فيها عيب ولا ضرر لكم.

س ـ بعض الناس يقول عندنا الآن السفن تسير بمحركات أين هذه الاية ؟

ج ـ العلم يقول ان هذه المحركات لا تتحرك الا بالهواء الذى فيه اكسجين حتى تحترق العوادم ويتحرك ولولا ذلك ما احترقت.

طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ : أى شديدة الهبوب.

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ : أنظر الى هذه الصورة العجيبة، و من ركب البحر عرف هذه المسالة، أنه يكون فى البحر على إمتداد الأفق من كل ناحية بحر ومياه أمواج تلطم هذه السفن بقوة، وأمواج عالية جدا.

وَظَنُّواْ : أى أيقنوا.

أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ : من يدعون ؟

(دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) : أى مخلصين له الدعاء، وسمى الدعاء دينا، لأن الدعاء إفتقار، وذل، وكلمة دين بمعنى الإفتقار والذل والخضوع لله جل وعلا.

لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ : أى من الموحدين بك، اذاً هم كانوا يعبدون على البر، وهم اطمأنوا بالحياة الدنيا ورضوا بها يعبدون أصنام كثيرة، و كل يصنع لنفسه صنما، فاذا أتت الشدة، علموا انه لا ينجيهم منها إلا إله واحد فقط.

(فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣))

فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم : نحن قد نجيناكم نعم، وخرجتم الى البر، وأمنتم على انفسكم نعم، لكن إذا فعلتم سوءا، فانه سيكون عاقبته عليكم.

مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أى كل هذا الذى تحيونه الآن، إنما هو متاع ومتاع ماذا ؟ الحياة الدنيا، دنيا، بمعنى قريبة، لأن هناك حياة اخرى بعيدة، ستقدمون عليها، ومن خصائص هذه الحيوة الدنيا، أنها سريعة المرور ستنقضى، ليس لها إستقرار، ولا دوام، فاعقلوا لماذا تبغون ؟ لماذا ترجعون فيما عاهدتم الله جل وعلا عليه؟!!

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤))

في هذه الآية يبين الله جلا وعلا، قيمة هذه الحياة، وأن خلقها من أول وجودها، كان خلقا قد إعتوره النقص، ولابد لها من الزوال، حتى تأتى حياة أخرى، تكون دائمة، خالدة، مستمرة، فقال تعالى مبينا مثلها، بمثل الماء الذى نزل من السماء، فاختلط به،

فَاخْتَلَطَ بِهِ: بمعنى، إمتزج به، والباء هنا، قيل للمصاحبة، وقيل أنها للسببية، أي إختلط بسببه حتى خالط بعضه بعضا، ولكن القول الأول أنها للمصاحبة، أظهر.

إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا: أي زينتها الغانية، وحسنها، وبهجتها، وكأنها صورة لإمرأةٍ تزينت بأروع ثيابها، وكأنها عروس قد لبست أحلى ملابسها، التي قد طُرزت بكل الألوان التي تجذب الإنتباه.

قَادِرُونَ عَلَيْهَا: أي قادرون على جذاذها وحصادها وأخذ ما يريدون منها.

أَتَاهَا أَمْرُنَا: قيل أمرنا هنا، بمعنى: أتاها عذابنا، وهذا العذاب إما صاعقة وإما ريح باردة، فأيبست الأوراق، وأتلفت الثمار.

فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا : أي كالنبات المحصود، وقيل: يبساً بعد الخضرة والنضارة، كأنها حصيدًا.

كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ: أي، لم يكن فيها غناء، لم تكن حسناء، ولم تنعم.

و قيل (لم تغن بالأمس): أي كأنها لم تكن موجودة، لأن الأمور بعد زوالها كأنها لم توجد.

الرياض الناضرة، الحدائق الباهرة، الطيور الغناء، وفجأة يتحول هذا المشهد إلى مشهد أرضٍ سوداء جرداء لا حياة فيها مرة أخرى، كأن هذه الحياة وهذه الزينة لم يكن لها وجود، وهذا معناه: أن الدنيا في تكوينها الإبتدائى إنما خُلقت لتفنى وتزول ولم تخلق للبقاء، ولذلك عوامل النقض فيها كثيرة، فلماذا نحن يكبر عمرنا، الآن أنت طفل ثم بعد ذلك شابا ثم تصير شيخا، لماذا هذا التناوب؟ لأن الأرض لا تثبت وأنت والزمان لا يثبت، و الزمان يمشى طولا ولذلك أنت تسير إلى الأمام فإذا قطعت مرحلة، مرت مرحلة من عمرك بعكس الآخرة كلها بالعرض ولذلك لذتها باقية وعمرها لا يفنى، لأنها خلقت باقية لا تزول.

كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ : نبينها.

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥))

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ : سمى الجنة بدار السلام لماذا؟ لأنها سالمة مما ذُكر من حال الدنيا، سلمت من الفناء فتبقى ولا تفنى، سلم نعيمها من الزوال فهو باقٍ، ثابت، ليس بفانٍ ولا منقطعٍ، و لذلك إذا أردت أن تعقد مقارنة،

اعقد مقارنة بين العاجلة التي تَفنى و تزول و بين الآخرة التي سلمت من كل ما سلمت منه الدنيا وبخاصة أن الدنيا تَفنى والآخرة تبقى، ولذلك هي دار السلام.

وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ: كيف الوصول إلى دار السلام؟ أن يهديك الله جل وعلا ويوفقك ويقبل توبتك وهدايتك.

و لذلك يقول يحيى بن معاذ الرازى: (عجبت من رجلٍ يرائى بعمله الناس و هم خلقٌ مثله، و من رجلٍ بقى له مال و رب العزة يستقرضه، و رجل رغب في صحبة مخلوقٍ و الله يدعوه إلى محبته، ثم تلى قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى: أي للذين أتوا بشهادة التوحيد.

الحسنى: هي الجنة.

وزيادة : قيل الزيادة تضعيف الثواب، و منه، يشمل هذا التضعيف، ما يعطيه من الحور والقصور والرضا عنهم وما أخفاه الله لهم من قرة أعين ويشمل أيضا النظر إلى وجه الله الكريم جل وعلا، نسأل الله جل وعلا أن يُنعم علينا بفضله بالنظر إلى وجهه الكريم.

وَلاَ يَرْهَقُ: الرهق، بمعنى: أن يعلوهم، يعلوهم و يعتريهم.

قَتَرٌ: القتام والسواد. ذِلَّةٌ: هي الهوان والصغار.

و كأن المقصود أنهم لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في الظاهر، كما في قوله تعالى: (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً)، النضرة في الوجوه، والسرور في القلوب، فلما سرت القلوب ظهر ذلك على الوجوه.

أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ: هم فيها خالدون، فلم يقل جل و علا (أولئك أصحاب الجنة) فقط، فهم أصحاب الجنة ولكن هل سيخلدوا فيها؟ فالجنة خالدة، ولكن المؤمنين؟، هنا اطمأنوا فهم فيها خالدون، فلا قلق، ولو لم يذكر هذا الخلود لأنزعجت القلوب، هي دار تخلد فماذا عن ساكنيها.

(وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧))

وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ: السيئات هى الشرك والمعاصى.

جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا: بعدما ذكر الله جل و علا حال الصالحين، المحسنين، ذكر حال الأشقياء، فالذين كسبوا السيئات جزاء سيئة مثلها، و هذا من عدله الله جل وعلا أنه يجازى على السيئة مثلها.

وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: ترهقهم أي، تعتريهم و تعلوهم ذلة، هوانٌ وصغار.

مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ: أي من مانع ولا واقٍ يقيهم العذاب.

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ: أغشيت بمعنى أُلبست، وعلاها هذه القطع والأجزاء.

قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا: قطعا، أي أجزاء، أجزاء من الليل مظلما، و تخيل هذا المنظر، قطع الليل أصبحت مُلبسة في وجوههم ظُلما كما قال تعالى: (وتسود وجوه)، عياذا بالله جل وعلا.

(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨))

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا: نحشر الجميع من الجن والأنس، البر والفاجر، المؤمن والكافر، كما قال تعالى: (وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً)، كل أحد سيُحشر.

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ: مكانكم، أي الزموا مكانًا معينًا يختص بكم، لماذا؟

فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ: زيلنا بمعنى فرقنا بينهم، وقطعنا الوصل التي بينهم، كما في قوله تعالى: (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)، امتازوا، أي تفرقوا وابتعدوا وخذوا مكانا بعيدا عن المؤمنين.

بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ: هنا التبرؤ من الذين عبدوهم لهم، ما كنتم تعبدوننا ولا شعرنا بكم، و قالوا:(فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩))

(هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٣٠))

تَبْلُو: بمعنى: تُختبر وتُعلم.

كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ: أسلفت بمعنى قدمت من خيرٍ أو من شر، أي كل نفس تُخبر وتُعلم بما قدمت من خيرٍ أو شر، كما قال تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)، وكما قال تعالى: (يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)

هناك قراءة أخرى في كلمة (تبلو) وهي قراءة أيضا صحيحة (هُنَالِكَ تَتْلُو) ويكون المقصود بها، تتلو، و فيها قولان:

القول الأول: إما التلاوة بمعنى القراءة، فهي تقرأ كتابها، فيكون ما أسلفت أي ما قدمت في كتاب أعمالها كما في قوله تعالى: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا)

القول الثاني: هنالك تتلو كل نفسٍ، أي تتبع، فكلمة تلى بمعنى تَبِع، و هو يوم القيامة كل عابدٍ يتبع متبوعه، كما في الحديث الصحيح لغيره، من حديث أبي سعيد (أنه يُقال يوم القيامة لتتبع كل أمةٍ ما كانت تعبد فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار)، هذا على القراءة بـ (تتلو).

الْحَقِّ : أي العدل، الذى يحكم بينهم بالعدل.

وَضَلَّ عَنْهُم: أي ذهب عن المشركين ما كانوا يفترون، أي ما كانوا يعبدون من دون الله إفتراءً عليه.

(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣١))

هنا بدأت الآيات في الحديث عن معانٍ من معانى الربوبية التي تُخاطب الفطر ولا ينكرها أحد، قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ

أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ: السمع، القوة السامعة، والأبصار، القوة الباصرة.

وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ.

(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢))

فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ: أي ليس هناك واسطة بين الحق والضلال، فمن تجاوز الحق وقع في الضلال،ليس هناك منطقة وسط، إنما بعد الحق يقع الإنسان في الضلال.

(كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٣٣))

هذا فيه دليل على أنهم مع إعترافهم بمعانى الربوبية أو ببعضها، ليس هذا دليل على إيمانهم حتى يأتوا بالإلهية، بشهادة التوحيد أن لا إله إلا الله نفيا وإثباتًا، وهذه المعانى معانى فطرية، فالناس كلها تقر بذلك إلا الشاذ، حتى الكفرة ففي قصة فرعون مع موسى عليه السلام، قال الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) الدافع هو الظلم والعلو فقط، الكبر هو الذى دفعه إلى التجاهل لهذه المعانى، إنما كان يسكت لما قال موسى عليه السلام (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ)، سكت لم يقل: لم أعلم، إنما كان يعلم هذا في نفسه وتجاهل.

كَلِمَتُ رَبِّكَ: بمعنى العذاب، لأن الله جل وعلا وعد الذين فسقوا إذا لم يؤمنوا أنهم يُعذبون،

وقيل: حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ: أي حق عليهم إنتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك، أنهم لن يؤمنوا، لماذا؟ لأنهم فسقوا وخرجوا على طاعة الله تعالى.

(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤))

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ: أي كيف تُصرفون عن طريق الرشد إلى الضلال والباطل.

(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥))

هذا إفحام كما يقال بعد إفحام، القرآن يُلقمهم أحجارا فهم لا يستطيعون الجواب، قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.

(وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦))

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا: هل الظن ممدوح أم مذموم؟

الظن نوعان:

ـ ظنُ خيرٍ: كما في قوله تعالى (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا)

ـ ظن الشر: كما معنا في هذه الآية و كما في الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)، فهذا ظن الشر، وظن الشر ينقسم إلى قسمين أيضا:

ـ ظنٌ عليه برهانٌ ودليلٌ.

مثال: وجدنا رجل في يده زجاجة خمر ورائحة الخمر تفوح من فمه، نحن لم نره وهو يشرب الخمر ولكن قامت القرائن من رائحة فمه و الزجاجة في يده، على أن هناك شر،

مررنا ببيت رجل فسمعنا صوت موسيقى عالية و صاخبة مع ضحكات لرجالٍ ونساءٍ في بيته.

و لذلك نحن نُعمل القرائن في الأمور التي ليس فيها يقين، هناك قاعدة: (ما لا يُبنى على يقين، تُعمل فيه الظنون)، الظنون التي عليها برهان، ولذلك في مسائل الفقه أغلبها ظنية، و لذلك أنت تعرف الفقه (هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية)، المعرفة تشتمل العلم والظن، فمسائل الفقه أغلبها ظنى، فهل هذا الظن نمنع منه، نقولا لا، لأنه عليه برهان و دليل.

ـ ظن ليس عليه برهان ولا دليل.

.. ظن الخير يُعمل به، وظن الشر الذى عليه برهانٌ ودليل أيضًا يُعمل به وتؤخذ بهذه القرائن وهذه الأمور، أما الظن الذى ليس عليه دليل فهذا المنهى عنه بالآية (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ)، و منهى عنه في الحديث (إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث)، هذا هو المنهى عنه، ليس عليه برهان ولا دليلفهو تهمة بالباطل، فهذا لا يُعمل به ولا يُجرى معه.

فماذا عن هجومه على النفس؟ أحيانا يأتي على الإنسان خاطر وليس معه برهان ولا دليل، و النبى صلى الله عليه وسلم يقول (إياكم والظن) و يقول(اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ)، كيف نجتنب وهو يطرأ علينا إطرارًا؟

ج ـ إن الذى أُمرت بإجتنابه هو أن تُسيره حتى يتمكن منك وسواس، و الأمر الثانى أن تتعامل بهذا الظن، أنت تتعامل وتجرى وتعمل فى الظاهر مع هذا الظن الذى ليس عليه برهانٌ ولا دليل.

(وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

تفصيل: أي توضيح وبيان.

الكتاب : أي الأحكام والحلال والحرام.

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: من الكتب المتقدمة.

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

فهذا القرءان تحدى من أول آية قوله " الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ " وهذا تحدي لمن يدعي أن القرءان به ريب، ولذلك أسلم بعض القساوسة بعد قرائته هذة الآية، قال: ما هذا الأطمئنان والثقة أن يقول في أول الكتاب "ذلك الكتاب لا ريب فيه" فقال أحدى القساوسة فظللت أبحث فيه عن ريب حتى أُؤكد هذا الريب ولكني وصلت أنه الحق ولا ريب فيه.

والذي يؤكد عن صحة إسلامنا أن القرءان موجود منذ أكثر من ١٤٣٧ سنة يتحداكم، فيقول " فأتوا بسورة مثله"، وحتى الآن ولو أجتمعوا عباقرة العالم لم يأتوا ولو بآية من مثله.

وهذة من الأمثال في القرءان ولكن الأمثال المتضمنة أي ليست من الأمثال الصريحة، ولذلك أخذوا العرب من هذة الأية أن الإنسان عدو ما يجهل .

مثله: أي من جنس القرءان.

(بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)

أي أنهم لم يفهموه ولا عرفوه ولم يُحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلا وسفها.

"ولما يأتهم تأويله": وهذا يكون في يوم القيامة يلقون تأويله، لقوله " هل ينظرون إلا تأويله".

تأويله: أي حقيقته وما يأول إليه.

(وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ)

أي من هؤلاء من سيؤمن فيتبعك وينتفع بما أرسلت به.

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ: أي يظل على تكذيبه حتى يموت ويبعث على ذلك.

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ: فهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ومن يستحق الضلالة فيضله وهو العادل الذي لا يجور.

(وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ)

وهذا كما قال إبراهيم عليه السلام:" إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم "، ثم بيين أنه اعتزالهم وهذا يقتضى معنى البراءة شيئين: (البغض القلبي ومعه البُعد).

يقول الشنقيطي رحمه الله:

وبين الله في موضع أخر أن اعتزال الكفار والأوثان والبراءة منهم من فوائده تفضُل الله تعالى بالذرية الطيبة الصالحة عليه.

فلما أعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ومن وراءه يعقوب.

(وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ)

يستمعون إليك: أي يسمعون كلامك الحسن إلى القرءان والأحاديث النبوية تُشفى بها القلوب والابدان.

"أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ: وسبق لنا القاعدة أن الشئ الذي لا ينفع كمعدوم.

(وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ)

أي يتظر إليك ولما اعطاك الله السمت الحسن، ولكن نظر هؤلاء كان نظر سخرية كما قال تعالى : " وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسول ". وأما المؤمنون فينظرون إليه بعين الوقار والتعظيم.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

لا يظلم الناس: أي أي ظلم صغر أو كبر ،فالفعل المضارع هنا منفي يُفيد العموم .

شيئا: أي، أي شيء، وشيء جاءت نكرة تفيد العموم.

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)

كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار: أي أنهم كانوا يستشعروا بها كأنها دقائق مرت سريعا كما يقول تعالى:"يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ".

يتعارفون بينهم: أي يعرف بعضهم بعضا فيعرف الابناء الأباء ويعرف كل صاحب صاحبه ولكنهم مشغولون بما هم فيه، لقوله تعالى:" لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه "، ولذلك قال تعالى:"ولايسأل حميم حميما يبصرونهم" فهم يبصرونهم ولكن لايسألونهم لأن الأمر والشغل كبيرا وعظيما ولذلك قال تعالى في آية أخرى:"يوم نفخ في السور فلا أنساب بينهم" فتقطعت الوصل ولم يبقى غير العمل الصالح.

قد خسروا: أي خسروا أنفسهم لأنها في النار خالدة والعياذ بالله، وخسروا أهليهم وأموالهم، فهو يوم الخسران المبين والحسرة والندام.

فائدة:

وذلك إذا وجدت كلمة خسر أو خسارة في القرآن فلن تجدها إلا في خسارة العمل الصالح.

فالفوز بالإيمان والعمل الصالح، ما عدا آية في سورة النساء، يوم يفوز المنافقين لقوله "يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما " وهذا كان في شأن الغنائم وليس لنا.

والفوز حصول السلامة مع حصول الخير، لقوله تعال: "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة " فذلك هو الفوز.

وإنما الفوز الدنيوي ليس بفوز الحقيقي، والخسارة الحقيقية أن تخسر دينا وإيمانا وعملا صالحا.

(وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ)

وذلك بالإنتقام منهم ليقر عينيه به.

مرجعهم : أي مصيرهم ومتقلبهم إلى الله جل وعلا.

ما يفعلون : أي بعد وفاتك . فهو مطلع عليهم جل وعلا.

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

كما في قوله " وجعلنا لكل أمة رسولا "

س ـ "فإذا جاء رسولهم "، فمتى جاء؟

ج ـ يوم القيامة.

هداية الآية الكريمة لفضائل أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

س ـ من أول من يُحكم له يوم القيامة؟

ج ـ المسلمون، كما في الحديث:"نحن الأخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق"، وكما في حديث ابن حيدة القُشيري قال:"أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله "، فإذن هذة من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على باقي الأمم، ومن الآيات الدالة في سورة الزُمر "وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون "

قضي بينهم: أي حكم بينهم.

القسط: أي العدل، أي حكم بينهم بالعدل وهم لا يظلمون.

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

أي يستعجلون بهذة المسائل، فأنت تقول أن هناك عقوبة تنزل على المخالف وأن هناك نار فأين هذة الوعود، كما قال تعال:"يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يُمارون في الساعة لفي ضلال بعيد".

فمن كذبوا بالساعة فلديهم جرأة عليها ولا يخافون الآخرة ويتعجل بها ويستهزئ بالعذاب.

ولذلك النووي رحمه الله في روضة الطالبين قال:ولو قال لا أخاف القيامة كفر.

(قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)

لكل أمة: الأمة هنا القرن من الناس لهم مدة من العمر مقدرة، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

لقوله تعالى: " ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون " . وكما في قول نوح عليه السلام " إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ".

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ)

(أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)

أي في هذة اللحظة عندما رأو العذاب فالجميع هاهنا يؤمن، كما مر معنا في السورة في مسألة ركوبهم البحر لقوله: "وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذة لنكونن من الشاكرين"، فالناس كذلك عندما يرون العذاب فقط يؤمنون.

(ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ)

ولذلك فكل الأمم وقع بهم العذاب ولم يرفع إلا قوم يونس لأنهم عندما رأوا العذاب دعوا الله مخلصين صغيرهم وكبيرهم بالتوبة إلى الله ولذلك رفع الله عنهم هذا العذاب.

ولذلك كما يقول تعالى في سورة غافر" فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ".

وقلنا أن الله استثنى منهم أهل يونس في قوله " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ".

س - متى لا تُقبل التوبة؟

ج - في ثلاث مواطن:

١. عند وقوع العذاب.

٢. إذا غربت الشمس من المشرق أو طلعت من مغربها فلا توبة.

٣. إذا وصلت الروح إلى الحلقوم، كما في قوله تعالى "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ "، " فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"

وغير مدينين: أي غير خاضعين لأمرنا ولم تكونوا مذنبين وتستطيعوا أن ترجعوا روحكم لتتوبوا.

ثم قيل: أي يقال لهم توبيخ وتقريعا.

(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤))

هذه الآيات يبين الله جل وعلا فيها صفتا الأولياء فمن أراد أن يتعرف على طريق الولاية لله جل وعلا من خلال هذه الآية:

ألا إن أولياء الله الذين يواليهم الله جل وعلا فيحبهم وينصرهم ويؤيدهم ويكون معهم من هم؟

قال: الذين آمنوا وكانوا يتقون وهؤلاء:

لا خوف عليهم حين يقدمون عليه عند الله جل وعلا

ولا يحزنون على ما فاتهم في هذه الدنيا؛ الذين آمنوا وكانوا يتقون

ولذلك ابن تيمية رحمة الله يقول عبارته المشهورة في الواسطية: من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا.

فإذا الولاية تكون: بالإيمان والتقوى

ولذلك نقول إن من اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الولاية ما زالت مستمرة وذلك لأن لها أسباب وهي الأيمان، والتقوى فكلما عل المرء في إيمانه وتقواه لله جل وعلا كلما زادت موالاة الله جل وعلا له، وكلما ضعفت كلما بعد عن موالاة الله جل وعلا.

والبشرى في الحياة الدنيا تتنوع فمنها:

أن يعمل العمل الصالح فيثنى عليه ناس هو لا ينظر إلى ذلك ولكنه يقع له ذلك وذلك كما عند الإمام مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيحمله الناس عليه ويثنون عليه به فقال تلك عاجل بشرى المؤمن.

أن تعمل عملا صالحا فيثنى الناس عليك به فقال النبي تلك عاجل بشرى المؤمن.

ومن البشرى التي في الحياة الدنيا : الرؤيا الصالحة كما ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يبق من النبوة إلا المبشرات وذكر الرؤيا الصالحة

ومنها بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

وَفِي الآخِرَةِ: والبشرى في الآخرة حينما يتلقي الملائكة المؤمنين يبشرونهم برحمة الله جل وعلا كما قال تعالى: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)

(لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

الفوز: أي ما يحصله العبد من الخير مع حصول السلامة لماذا؟ لأنه زحزح عن النار وأدخل الجنة وهذا هو أعظم الفوز

(وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

أي السميع الذي يسمع أقوال عباده ؛ والعليم: الذي يعلم أحوالهم

وهذا يعنى أن هناك تزكية للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول ولا يحزنك قولهم لماذا؟ لأن الله جل وعلا يسمع ويعلم وهو ناصرك عليهم فيستشعر النبي صلى الله عليه وسلم بمعية الله له وهى جزء من الولاية السابقة في الآيات، وكذلك أيضا هذا فيه نوع تهديد لهؤلاء الكفار أن الله يسمع ويعلم ما يقولون وما يفعلون وسوف يجازيهم أن هذا لازم أن الله سمع قولهم وعلم بأحوالهم وأفعالهم

(أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ)

يعنى هؤلاء الذين اتبعوهم واتخذوهم شركاء ليس لهم شرك ولا شركة لا في السماوات ولا في الأرض لأنها ملك لله جل وعلا ومن فيها ولذلك قال إن يتبعون إلا الظن وهذا الظن هو ظن شر وظن سوء لأنه ليس عليه دليل ولا حجة ولا برهان

وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ

و الخرص: هو الظن بغير دليل.

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

يعنى سمعوا وتذكروا هذه الأمور فعلموا أن الملك لله جل وعلا، لأنه لو شاء الله جل وعلا لجعل عليهم الليل سرمدا إلي يوم القيامة، من يأتيهم بضياء؟! وكذلك بالعكس لو جعل الله جل وعلا النهار سرمدا إلى يوم القيامة، من يأتيهم بليل؟!

فالذي يقلب الأمور ويأتي بالليل والنهار هو الله جل وعلا ولكنها إنما ينتفع بها الذين يسمعون فيستجيبون لله جل وعلا ويطيعون أوامره

لآيات لقوم يسمعون: هنا سماع الفهم والإجابة لكن الفهم سابق؛ يعنى لو كانوا يفهمون؛ لآيات لقوم يسمعون أي ما أراده الله جل وعلا ويستجيبون له.

إنما حجب عنهم الفهم ولذلك هم لا يستجيبون لله جل وعلا.

(قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَه هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

سبحانه: أي تنزه عن ذلك.

هو الغني: والغني بمعنى الذي له الغني الكامل، وغني الله جل وعلا غني ذات فهو بذاته غني لا يحتاج إلى أحد سبحانه وتعالي، ولذلك من الغني أنه لا يحتاج إلى الولد لأن الحاجة إلى الولد افتقار وهو منفي عن الله جل وعلا، الإنسان يحتاج أن يكون له ولد يساعده يأنس به يعطيه شيء من الحب والرحمة أما الله جل وعلا فهو الغني عن العالمين لأنه غني بذاته.

وكما قال ابن تيمية: والغني وصف ذات لازم أبدا له كما أن الفقر وصف لذاتي؛ يعنى نحن بذواتنا فقراء والله جل وعلا بذاته غني لا يحتاج؛ ولذلك أن من يقول أن لله ولد هو يجعله مفتقرا والعياذ بالله فيصفه بالنقص ولذلك قال (سبحانه) أي تنزه عن الولد لأن الحاجة إلى الولد نقص عياذ بالله جل وعلا.

له ما في السماوات وما في الأرض إن عندهم من سلطان بهذا: هل عندكم حجة أو دليل على ما تقولون من هذا الكذب وهذا الافتراء؟!!

أتقولون على الله ما لا تعلمون: وهنا الاستفهام للتهديد؛ أي يهددهم كيف تقولون ذلك وتقولون على الله هذا القول الشنيع العظيم ولذلك في الآية الأخرى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً) كل هذا يحدث بمجرد أن تسمع السماوات والأرض والجبال بأن هناك من ادعى لله الولد عياذا بالله جل وعلا، نسأل الله العافية، ولذلك يقول، أتقولون على سبيل التهديد والإنكار والوعيد الشديد لهم.

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ

لا يفلحون: أي لا يحصلون ما يطلبون من كذبهم ولا يفرون مما يخافون منه

(مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ)

العذاب الشديد: المؤلم الموجع بما كانوا يكفرون.

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ)

كبر: بمعنى عظم واشتد عليهم وأصبح أمرا عظيما عندهم.

عليكم مقامي: أي فيكم وبين أظهركم.

وتذكيري بآيات الله: هم كبر عندهم وعظم عندهم أنه بينهم وكبر عندهم أنه يذكرهم بآيات الله جل و،علا وهذا في الواقع الملموس إذا جئت تتكلم بالآيات قال دعنا من هذا ورد بردود أخري لماذا؟

لأن آيات الله حجة وسلطان وقوة، وكذلك أيضا بعض الناس لا يريد بعض الإلتزام في هذا المجتمع لا يريد ذلك فيصعب عليه مقام بعض الملتزمين بدين الله والمتمسكين بدينهم ولذلك مر علينا قبل ذلك (أَخْرِجُوا آل لُوط مِنْ قَرْيَتِكُمْ) وما يضرهم؟ (إِنَّهُمْ أُنَاس يَتَطَهَّرُونَ)، يعنى يتنزهون عن أفعالهم ويقولون إما أن تشاركونا في أفعالنا المحرمة التي فيها انتكاس للفطر وإلا فارحلوا عن أرضنا.

قال نوح عليه السلام (فعلى الله توكلت) اعتمدت في جلب ما ينفعني ودفع ما يضرني على الله وحده، ولذلك ستري أن التوكل هي عبادة خالصة لله جل وعلا ولذلك لا يشرع بل يحرم للإنسان أن يقول توكلت على الله ثم عليك لأن التوكل عبادة قلبية تصرف لله جل وعلا، ولذلك انظر هنا قال، فعلى الله توكلت، والقاعدة عند علماء البلاغة أن تقديم ما حقه التأخير يفيد التخصيص والحصر، فعلى الله توكلت يعنى توكلت على الله وحده لا على غيره ولما عظم توكله على الله قال (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) معنى الآية أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم.

إعراب شركاءكم: مفعول به لفعل محذوف.

(ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) غمة يعنى متلبسا أو مستترا.

ثم اقضوا إلي ولا تنظرون: يعنى لا تؤخروني ساعة، يعنى أنتم ستفصلون في الأمر إذا اقضوا سريعا وهذا من تمام توكله على الله ومن تمام علمه بأنه لا يحدث في كون الله إلا ما أراد الله جل وعلا، وأنه لا يستطيع أحد أن ينفعه أو أن يضره إلا إذا شاء الله جل وعلا.

(فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

فإن توليتم: يعنى كذبتم وتوليتم عن الطاعة وأدبرتم.

(فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ)

ومن معه: أي على دينه.

الفُلك: بمعنى السفن أو السفينة والفَلك (بفتح الفاء) بمعنى الجزء المستدير من الكون أو هو جزء من الكون أو من الأفلاك السماوية والكواكب وغيرها، إنما الفُلك هنا بمعنى السفينة.

خلائف: يعنى خلفا يخلفون المكذبين في الأرض، يعنى هؤلاء بقوا معه في السفينة وقد هلك كل من كان قبلهم من المكذبين، كل من كذب هلك وأصبح هؤلاء بعدهم؛ ولذلك قال وجعلناهم خلائف.

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ)

مر معنا ماذا كانت عقوبة قوم نوح؟ بالماء بالطوفان ؛لماذا عاقبهم الله تعالي بالطوفان؟

لأن العقوبة من جنس المعصية؛ معصية قوم نوح: الشرك نجاسة (إنما المشركون نجس) وقوم نوح أول من فعل الشرك على الأرض فأتي الطوفان عقوبة لهم لإزالة تلك النجاسة الحادثة، ظلت الناس عشرة قرون على التوحيد ما بين آدم عليه السلام إلي نوح ثم ظهر الشرك وعبادة الأصنام فكانت العقوبة هي الطوفان الذي غسل الأرض من أول شرك والشرك نجس فأزاله الله جل وعلا بهذا الطوفان.

فجاؤوهم بالبينات: أي بالحجج الأدلة الواضحة على صدق ما جاءوهم به

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ: يعنى هؤلاء الأمم أول ما جاءهم الوحي رفضوه، فكانت العقوبة أنهم لا يؤمنون به بعد ذلك كما في قوله تعالي في الأنعام (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) ولذلك احذر أن يأتيك شيء من الحق فترده ابتداء لشبهة تطرأ عندك إنما تريث لا ترد شيء حتى تبحث أهو من الحق أم هو من الباطل لأنهم ردوه مجرد ما أتاهم ولذلك عقبوا بأنهم بعد ذلك قلوبهم أصبحت ليست محلا لقبول الهداية ولا قبول نور الله جل وعلا

ولذلك قال (كذلك نطبع) أي نختم على قلوب المعتدين

(ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ)

الملأ: أي القوم الذين هم من أشراف الناس في نظر الناس.

فاستكبروا: فكان استقبالهم للآيات التي جاء بها موسي وهارون الاستكبار عياذا بالله جل وعلا.

والاستكبار معناه: كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم: (هو بطر الحق وغمط الناس) يعنى يردون الحق استعلاءً عليه وكذلك أيضا يحقرون الناس عياذا بالله جل وعلا.

(فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ)

(قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ)

لا يفلح: لا يحصل مطلوبه ولا يفر من مرهوبه.

ولذلك كل ساحر فعله إلى زوال وإلى اندثار، ولكن يحتاج إلى أن يقابله الحق.

وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ: ولذلك لا يحصلون ما يطلبونه أبدا على وجه يريدونه.

وهذا من الآيات المطمئنة لقلوبنا لأن بعض الناس يضع السحرة في مكان عالي أنهم يتصرفون وأنهم بيدهم الأمور، هذا لا يكون هم لا يفلحون في ما يريدونه وكذلك لا يحصلون شيئا إلا بإذن الله (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ)، هذا من قضاء الله وقدره على العبد، إنما الساحر إنسان حقير كافر بالله عز وجل يتقرب إلى الجن وإلى غيره بأمور يتنزه عنها الإنسان العاقل ولذلك قال هنا ولا يفلح الساحرون وفي الآية الأخرى قال: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) مهما يأتي لا يفلح بل الحق يذهب بهذه الأمور.

(قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)

لِتَلْفِتَنَا: يعنى لتصرفنا أو تثنينا.

عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا: وهنا مشكلة التقليد أيضا، هم يقولون له نحن وجدنا آباءنا على ذلك، أنت تريد تصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وهذه علة عليلة دائما يتعلل بها المبتدع و المشرك وغيره أنه خرج فرأي هذا الأمر؛ على سبيل المثال أن تقول عروس المولد بدعة بل هي من بيع الأصنام المحرمة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الأصنام والصنم هو كل ما له صورة والحصان والعروسة هذه أصنام لا يجوز بيعها فعندما تقول لأحد يرد أنه نشأ وجدها هكذا

وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ: فقالوا له أول شيء أتريدنا أن ننصرف عما وجدنا عليه الآباء، الأمر الثاني اتهموه في نيته قالوا وتكون لكما الكبرياء في الأرض.

الكبرياء: بمعنى العظمة والرياسة والسلطان؛ فقدحوا في نيات الرسول والعياذ بالله والقدح في النيات لا يكون إلا لله جل وعلا لأنه هو المطلع على هذه الأسرار.

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ)

(فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ)

إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ: وأبطله الله جل وعلا كما في قوله في الأعراف (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ)، قال سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين.

(وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)

يُحِقُّ: أي يثبت ويعلى؛ كلماته ولو كره المجرمون.

(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)

إلا ذرية: وهم الشباب.

من قومه: الضمير هنا يعود على فرعون.

فما آمن لموسي إلا ذرية: أي مجموعه من الشباب، من قومه: أي من قوم فرعون.

وقال ابن عباس أنهم أربعة: وهم امرأة فرعون – ومؤمن آل فرعون– خازنه وامرأة الخازن

وإن فرعون لعال في الأرض: عال: أي جبار ومستكبر

وإنه لمن المسرفين: المتجاوزين الحد في الكفر والفساد عياذا بالله جل وعلا.

(وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ)

إن كنتم مسلمين: أي مستسلمين لله بالطاعة فإيمانكم يجعلكم تتوكلوا عليه

وهذه جملة فيها شرطان : أن كنتم مؤمنين فعلى الله توكلوا إن كنتم مسلمين معنى الكلام:

أي كونكم مسلمين شرطا لأن تصيروا مخاطبين بمجموع كلامه الأول، وهو إن كنتم مؤمنين فعلى الله توكلوا ؛

مثال للتوضيح: يقول لامرأته إن دخلتي الدار فأنت طالق إن كلمتي زيدا، هنا كم شرط؟ اثنان إن دخلتي الدار وإن كلمتي زيد. ما الحكم ؟أنت طالق، متى يقع هذا الكلام إن دخلتي الدار فأنت طالق؟ إذا كلمت زيد؛ ولو دخلت الدار ولم تكلم زيدا؟ لا تطلق.

إذا معنى الكلام أن مجموع قوله (إن دخلتي الدار فأنت طالق) مشروط بأن تكلم زيدا

ولذلك نقول أن الشرط المتأخر في اللفظ متقدم في المعنى: أي أن الشرط هذا هو الأول حتى يصير الكلام قبله معمولا به.

(فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

فقالوا على الله توكلنا ثم دعوا قالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، وفي هذا دلالة على أن الدعاء المستجاب هو الذي يأتي بعد التوكل على الله جل وعلا.

إذن تتوكل، تعتمد على الله جل وعلا في جلب منافعك وتصدق في هذا الاعتماد وفي دفع مضارك وتأخذ بالأسباب ومن الأسباب أن تدعو بهذا تكون في هذه الحالة مستجاب الدعوة.

قالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين: هذه الكلمة في كل القران على معنيين

المعنى الأول: لا تجعلهم يظهرون علينا فيعتقدون أنهم على الحق ونحن على الباطل فيصير ذلك فتنة لهم فلا يؤمنون لأن طالما الأمم منتصرة دائما تشعر أنها على الحق وإذا غلبت أحيانا تشعر أن هناك خلل.

المعنى الثاني: أي لا تجعلهم يفتنونا عن ديننا.

أي لا تجعلنا فتنة بأن تمكنهم منا فيفتنون بذلك أو لا يفتنونا نحن عن ديننا.

(وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

نجنا برحمتك: أي خلصنا برحمتك وإحسانك من القوم الكافرين

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

تبوءا: أي اتخذا.

اجعلوا بيوتكم قبلة: يعنى مساجد تصلون فيها إذا خفتم من فرعون، (إذا خفتم فصلوا في البيوت) وهذا أيضا في شرعنا أيضا أن الإنسان إذا خاف على نفسه من حضور الجماعة جاز له أن يصلي في بيته، مثال: قطاع طرق لو خرج لصلاة الفجر في الظلام سيقتلونه نقول له صل في بيتك ولا أحد يفتيه أبدا بأن يقتل نفسه هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: واجعلوا بيوتكم قبلة أي في اتجاه القبلة وهي بيت المقدس حتى تصلون.

وأقيموا الصلاة: قال أهل العلم أن في الأمر بإقامة الصلاة دليل على أن الإنسان إذا وقع في بلاء فإن الصلاة تخلصه من هذا البلاء.

إذن: إذا خافوا صلوا في بيوتهم وأكثروا من الصلاة لأنها تخلصكم من البلاء

قال وبشر المؤمنين: أي إذا فعلتم ذلك أكثرتم من الصلاة والتوكل على الله وكثرة الدعاء المذكور في هذا نبشركم بالنصر القريب وبالثواب العظيم عند الله جل وعلا.

(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)

ربنا إنك آتيت: من الذي آتاه؟ الله جل وعلا هو الذي آتى فرعون، فمن أتي فرعون بماله وزينته وقوته وجنوده؟ أعطاه الله ذلك ابتلاء له ؛ فكأن موسي عليه السلام ينظر لفرعون أنه إنما أُعطي ليُبتلى وأن القدر غالب عليه مهما علا ومهما استكبر ومهما ارتفع.

زينة وأموالا في الحياة الدنيا: زينة من أثاث الدنيا ومتاعها.

ربنا ليضلوا عن سبيلك: يضلوا الناس لأن بعض الناس تفتن بهذه المناظر كما فتن كثيرون بقارون.

ربنا ليضلوا عن سبيلك أو ليضلوا هم: يعنى يقعوا في الضلال بسبب الفتنة هذه الأموال والزينة

اطمس: بمعنى: أهلكها وقيل أن الله جعلها حجارة على هيئتها.

واشدد: بمعنى وأطبع واختم هذا لأن موسي أوحى إليه بأن فرعون لن يؤمن فدعا عليه كما دعا نوح على قومه لما علم أنهم لا يؤمنون.

(قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)

دعوتكما: مثنى والذي دعا هو موسي عليه السلام فلماذا قال قد أجيبت دعوتكما اثنان؟ قالوا أن هارون كان يؤمن عليه إذن المؤمن كأنه داع.

فاستقيما: يعنى اثبتا واستمرا على الدعوة إلي الله جل وعلا.

ولا تتبعان: يعنى لا تسلكا سبيل الذين لا يعلمون.

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)

جاوزنا: بمعنى قطعنا ذلك لأن الله جل وعلا أمر موسي بقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشي

فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا: أي ظلما وعدوانا

(آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

كنت من المفسدين: يعنى ممن كان يفسد ولكن كان إماما في الفساد كما قال تعالي في القصص (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ) فهو كان إمام وداعية للنار، لكي تدرك أن هناك أئمة في الخير وأئمة في الشر، هناك وحى من الله ووَحى من الشياطين (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ)

الآية القادمة مهمة جدا والآيات القادمة كلها قواعد ومهمة

(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)

فاليوم ننجيك: ننجى فرعون ببدنه: أي سينجيه بجسد سليم سوي لم يتمزق، بل وكذلك سيرفع على نجز من الأرض، على مرتفع من الأرض، هو كان غرق في البحر فلماذا رفعه الله على صخرة وبجسد سليم؟

حتى يتحقق بني إسرائيل من موته لأنهم سيشكون أنه مات وهو الآن في المتحف المصري وإلي الآن

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً: الذي سيسير على سنن الله سينجو، والذي يخالف سنن الله جل وعلا يكون مصيره كذلك ولذلك في الدخان قال تعالي (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)، الأرض هنا أرض مصر لأن أهلك الله عدوها، قال هذه الآية التي نزلت في فرعون.

وإن كثيرا عن آياتنا لغافلون: صحيح اليوم الجميع الكل يذهب ليري فرعون في المتحف ولا ينظرون فعل الله به وأنه غرق، وأنه لما خالف السنن واستكبر على موسي عليه السلام ورد الحق....، غفلة عن هذا المعنى، والله المستعان.

(وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

بوأنا: أي أنزلنا

مبوأ صدق: يعنى منزلا صالحا وهي بلاد الشام ومصر وهذه من الآيات التي فيها فضيلة مصر وأنها بلاد مباركة وبلاد منزلها منزل صدق.

ورزقناهم من الطيبات: أي الطيب الحلال النافع المستطاب طبعا وشرعا.

(فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل: هذه جملة شرطية ولكن والعياذ بالله هذا الشرط على بابه؟ لا، عندنا في تخريج هذه الآية ثلاث تخريجات

الأول: أن نقول أن صدق الشرطية لا يقتضي وقوعها ؛مثلما نقول إن كانت الخمسة زوجا (عدد زوجي) كانت منقسمة متساويين لكنها ليست زوج إذن صدق الشرطية لا يقتضي وقوعها، وهنا أيضا فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل يعنى هو ليس في شك حتى يسال فليس معنى الشرط أن يصدق هذا الشرط.

الأمر الثاني: أن الخطاب له والمراد غيره يعنى إياك أعنى واسمعي يا جارة كما مر معنا في قصة شعيب (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ) وشعيب لم يكن في الملة أصلا إنما كان المقصد والكلام هم قومه.

الوجه الثالث: أن الخطاب لكل من يسمع: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب وهذا سؤال امتحان مهم جدا: أي أن الخطاب لكل من يسمع ليس مقصودا به النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو خرج بالإجماع لأنه ليس عنده شك وهو لم يسأل صلى الله عليه وسلم، فهل وقعة واقعة مرة أنه سأل أهل الكتاب؟ أبدا إنما لما مر على عمر رضي الله عنه وهو يقرأ وفي يده ورقة من التوراة فقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب وغضب النبي صلى الله عليه وسلم لماذا؟ لأنه معك الحق فلماذا تقرأ في هذه الكتب لا تضع وقتك ولا عمرك ؛ أما حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج؟ هذا إذا وصلك خبر من أخبارهم فلا حرج بالتحديث عنهم أما الإنسان إذا لم تكتمل آلته في قراءة الكتب العلمية وعنده ثبات في العقيدة لا يقرأ، لا في الإنجيل ولا في التوراة لأنه ممكن يري شبهه لا يستطيع أن يجيب عنها فتقع في قلبه عياذا بالله.

فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ: والممترين مفردها ممتر وهو الشاك قال نهاه أن يكون شاكا.

نقول هناك قاعدة وهذه القاعدة الثانية:

النهي عن كل شيء إن كان لمن تلبس به فمعناه تركه وإن كان لغيره (أي لغير المتلبس) فمعناه الثبات على عدمه وألا يصدر منه في المستقبل

مثال: إنسان يكذب عياذا بالله فتقول له لا تكذب؛ لا تكذب هنا بالنسبة لهذا الشخص المتلبس بالكذب معناه اترك الكذب أما لو كان شخص أمين ولا يكذب أبدا فتقول له لا تكذب معناها اثبت على صدقك وإياك أن تفعل هذا في المستقبل.

فلا تكونن من الممترين: معناها اثبت على عدمه وألا يصدر منك في المستقبل فلا تكونن من الممترين

(وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ)

حقت: بمعنى وجبت

إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون: أي أن من كتب الله له الشقاء وهو في بطن أمه فإنه لا يؤمن لعلم الله جل وعلا أن قلبه ليس محلا قابلا لقبول الحق من الله جل وعلا.

(وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ)

مثال فرعون الذي مضي معنا الآن متى آمن؟ لما رأي العذاب وهذا وقت لا ينفعه فيه إيمانه ولذلك قلنا أن:

التوبة مفتوحة أمام العبد إلا في ثلاث مواطن:

الموطن الأول إذا بلغت الروح الحلقوم هنا لا تقبل التوبة يقبل من العبد ما لم يغرغر

الموطن الثاني: إذا رأي العذاب قد نزل به

الموضع الثالث: إذا خرجت الشمس من مغربها فهنا أيضا يقفل باب التوبة.

(فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)

فلولا: بمعنى هلا.

قوم يونس: هم أهل نينوى وهي بلد بجوار الموصل في العراق لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي.

عذاب الخزي: يعنى الذل والهوان.

لماذا قال عذاب الخزي في الحياة الدنيا؟ لأنه هنا ذلك الإيمان، قال آمنوا، لو قال كشفنا عنهم عذاب الخزي وسكت لقلنا كشف عنهم عذاب الخزي في الآخرة لأن الإيمان إنما جزاؤه الأصيل في الآخرة فنبه أنه رفع عنهم العذاب في الدنيا ورفع عنهم العذاب الأخروي أيضا.

(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)

تُكره الناس: أي تلزمهم وتلجئهم على الإيمان؟ نحن لا نكره أحدا على أن يؤمن ولذلك لا إكراه في الدين.

(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)

الحمد لله على الإيمان وإيمانك معناه أن الله قد أذن لك وتفضل عليك بأن صرت مؤمنا فلله الحمد.

الرجس: أي العذاب.

الذين لا يعقلون: الذين لا يعقلون حجج الله ولا يعقلون أدلته.

(قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ)

انظروا: أي انظروا نظر المستفيد ولذلك النظر هنا واجب أن تنظر في ملك الله جل وعلا ليزداد إيمانك بالله جل وعلا

وما تغني: أي لا تنفع.

(فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ)

فمن صار على نهج الأنبياء نجي ينجيه الله في الدنيا من فتنها ومن شبهاتها وشهواتها وينجيه من الهلاك الواقع على الكافرين وفي الآخرة ينجيه من العذاب الأليم عياذا بالله جل وعلا

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

لماذا قال الذي يتوفاكم؟ لأن الأمر هذا لله وحده لا يشاركه فيه أحد فيتوفاكم الوفاة الصغرى بالنوم ويرسل الروح مرة أخري فترجع إلي البدن وهو الذي يتوفي في الآخرة أيضا إذا خرجت روحه من البدن نهائيا هذا لله جل وعلا. وفيها دلالة على أن الذي يملك ذلك هو الله جل وعلا فلا يخاف من أحد دون الله لأنه لا أحد يتوفي الأنفس إنما الذي يتوفاه هو الله فلا أحد يملك لك أن يميتك الذي يملك لك أن يميتك هو الله جل وعلا.

(وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

وأن أقم وجهك للدين حنيفا: أي أخلص العبادة لله واستقم على الإسلام.

حنيفا: أي مائلا عن الشرك إلى التوحيد فلا تكونن من المشركين.

(وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

مع الضر قال يمسسك وفي الخير قال يردك: لأن الأشياء المكروهة لا تنسب إلي إرادة الله ولأن الضرر عند الله ليس مرادا لذاته بل لغيره ولما يترتب عليه من المصالح بينما الخير مراد لله لذاته ومفعول له.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)

الحق: الذي لا مرية فيه ولا شك.

وما أنا عليكم بوكيل: يعني لست موكل حتى تؤمنوا أنا أنذركم فقط.

(وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)

الإتباع: للوحي ليس لأحد إنما للوحي المعصوم.

حتى يحكم الله: أي يفتح بينك وبين قومك.

وهو خير الحاكمين: الفاتحين بعدله وحكمته.

(رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)